العنوان:	العلامة محمد ابن تاويت الطنجي جوانب من حياته ونماذج من رسائله
المصدر:	أعمال الندوة التكريمية التذكرية للعلامة محمد بن تاويت الطنجي
الناشر:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة
المؤلف الرئيسي:	الحسني، محمد كنون
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1997
مكان انعقاد المؤتمر:	طنجة
الهيئة المسؤولة:	مدرسة الملك فهد العليا للترجمة
الشهر:	مايو
الصفحات:	117 - 130
رقم MD:	582301
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	محمد بن تاويت الطنجي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/582301

العلامة محمد ابن تاويت الطنجي
جوانب من حياته ونماذج من رسائله

محمد كنون الحسني*

يروى عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه أنه قال :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا   محياه بالأطماع حتى تجهما[1]

وفي هذا أحسن تعبير عن أعمق المشاعر التي يحس بها الذين أكرمهم الله بالعلم فأغناهم عن كل مطلب سواه، فأضحوا يحلقون في أجواء تكشف لهم عن عوالم جديدة تملأ نفوسهم غبطة وسروراً، وتغمر

---

* أستاذ بكلية الآداب - جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

1 - عبد الله كنون الحسني : «أدب الفقهاء»، دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدار البيضاء 1988 صفحة 104.

قلوبهم رضا وطمأنينة، بحيث لا يغريهم المنصب. يحيطهم سمت العلم بهالة من التعظيم والاحترام، ويمنعهم وقار العلماء من النزول إلى حضيض الابتذال. فمن استطاع بعلمه وسلوكه أن يرقى إلى هذه المكانة ومن صانه العلم ورفعه أوجب على معاصريه وعلى من جاء بعده، من الباحثين والعلماء، ورجال الفكر والأدباء، ذكره وتعظيمه، لأن في تكريمه وذكره تعظيماً للعلم ورفعاً لمكانته، وصيانة له وتبجيلاً لرجاله. والمتحدث عنه اليوم كان من رواد البحث في التراث، ومن رجال العلم الذين استطاعوا بعلمهم وسلوكهم أن يحظوا بتقدير الباحثين شرقاً وغرباً، وبأعمالهم وأبحاثهم أن يخطوا طريقاً رصيناً في مجال الكشف عن التراث وتحقيقه.

أصله من قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة، ومولده في بيت عرف بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، (فقد كان أبوه وأعمامه الأربعة من المجاهدين للمحتلين الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة. استشهد عمه أحمد ثم أخوه الأصغر عمر مجاهدين. وظل عمه محمد الزكاري يحارب الإسبان والفرنسيين حتى بعد انتهاء حرب الريف، فلجأ إلى بني مسارة حيث أسلمه الفرنسيون للإسبان، وكذلك فعل عمه الرابع[2] أما والده محمد فقد التحق بالأمير ابن عبد الكريم الخطابي الذي اعتمده قاضياً شرعياً للناحية على وجه التشريف، وحين خمدت تلك الحركة وانتهت بما هو معلوم من تكالب قوى الاستعمار على ابن عبد الكريم ورجاله، جاء إلى طنجة واستقر بها مشتغلاً بالعلم سالكاً طريق الزهد[3]. وبقبيلة وادراس ولد العلامة محمد بن تاويت الطنجي سنة 1911 ميلادية وحفظ القرآن وبعض المتن، ثم انتقل مع والده إلى طنجة ولازم بعض علماء العصر والبلد فأخذ عنهم ثم رحل إلى فاس قاصداً جامع القرويين صحبة ابن عمه الدكتور محمد بن تاويت التطواني وصديقه

2 - «معلمة المغرب» : الجمعية المغربية والتأليف والنشر والترجمة، مطابع سلا 1995 صفحة 2551- 2552 ترجمة بخط يد ابن عمه الدكتور محمد ابن تاويت التطواني.

3 - انظر ترجمته في : «مواكب النصر وكواكب العصر» للعلامة الأديب محمد بن عبد الصمد كنون الحسني - مطبعة سوريا - طنجة - 1400 هجرية. صفحة : 85.

العدل السيد محمد الزرهوني، فلبث يكرع من حوض العلوم والعرفان ولازم دروس علمائها الأعيان، كالعلامة المكناسي والفقيه أقصبي والشيخ سيدي عبد العزيز ابن الخياط، والشيخ الطايع بن الحاج، وسيدي جواد الصقلي وسيدي محمد العلمي الذي انقطع إليه انقطاعاً كلياً ولازمه وقتاً طويلاً ينهل من علمه ومعارفه ويساعده في استنساخ كتبه.

وفي سنة 1936 عاد من فاس واشتغل بالتعليم في المدرسة الأهلية بتطوان لمدة سنتين، إلا أنه لم يلبث أن تاقت نفسه للرحلة من جديد في طلب العلم، فاتجه صوب المشرق هذه المرة لمتابعة الطلب والمضي في الدرس والتحصيل، حيث حل بالقاهرة عاصمة العلم والثقافة والفن صحبة ثلة من رفقائه نذكر منهم، ابن عمه الدكتور محمد بن تاويت التطواني، والسيد محمد الفلوس والسيد محمد الريفي والسيد عبد القادر السميحي، والتحق بكلية الآداب قسم التاريخ ثم بدا له أن يتحول إلى قسم اللغة العربية التي حصل فيها على الإجازة بتفوق سنة 1943 إذ كان من الخمسة الأوائل فنال جائزة الشرف من الملك فاروق. وحين عرض على الأستاذ أحمد أمين أن يتولى الإشراف عليه في موضوع يتقدم به لنيل شهادة الماجستير اختار له موضوع : تحقيق مقدمة ابن خلدون، فدخل عالم البحث والتحقيق، وفتح باب الكشف عن التراث وإخراجه، فأضحى محققاً ثبتاً من أكابر المحققين، وعالماً بالتراث العربي والإسلامي، يعمل في صمت ويدأب في إيمان، ويتابع جهده لا يروم إلا الدقة والحقيقة، (وظل في القاهرة سنوات كثيرة وجهاً بارزاً في ميدان العمل على تحقيق التراث، وشارك في كثير من اللجان التي ألفت لهذا الغرض، وأدى لمعهد المخطوطات مساعدات قيمة، وشارك في إعداد بعض فهارسه وتوجيه بعض أعماله)[4]. ووجهته الجامعة العربية إلى تركيا للبحث عن المخطوطات، فوجد هناك ضالته، وأرضى غريزته في البحث والاطلاع، والنسخ ومقارنة النسخ، حتى أضحى المرجع الأول فيما يخص

---

4 - عن مقال للأستاذ : عبد الصمد العشاب ترجم فيه للعلامة محمد بن تاويت الطنجي، جريدة الخضراء عدد : 178 - 1993.

ابن خلدون، والعلم الرائد في مجال الكشف عن التراث العربي والإسلامي، وتحقيقه وإخراجه بطرق البحث العلمي الرصين. وفي سنة 1954 التحق بالجامعة التركية فعمل أستاذاً بكلية الإلهيات بأنقرة، ثم بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بإستانبول الذي أصبح فيما بعد يعرَف بكلية الإلهيات التابعة لجامعة مرمرة، وهناك كان على أشد صلة وأقواها بالتراث الفكري العربي والإسلامي، فلازم خزائن إستانبول وأنفق ما عنده كله ارتحالاً إليها، وتصويراً منها، وصلات بها واستنساخاً من خزائنها، وإرسال الإعلام بها أو نسخ منها إلى صديقه وصهره العلامة المرحوم عبد الله كنون الحسني.

وبالرغم من عودته إلى المغرب سنة 1963 وعمله في حقل التحقيق بالقسم الثقافي في وزارة الأوقاف، فإنه آثر الرجوع إلى تركيا والعمل بجامعتها أستاذاً لعلوم الثقافة الإسلامية إلى أن وافاه الأجل المحتوم يقول عنه ابن عمه الدكتور محمد بن تاويت التطواني : (لم يكن في محمد بن تاويت الطنجي عيب إلا أنه كان ينشد الكمال في الناس. فهو رجل قد قدر الناس قدره، وأحبه علماء الأتراك واحترموه في وزاراتهم وجامعاتهم، فأصهر إليهم، وأقام بين أظهرهم إلى أن مات عندهم غريباً عن بلده بتاريخ رابع ذي الحجة الحرام عام 1394 - 29 دجنبر 1974)[5].

ولقد عانى رحمه الله في نهاية حياته، إذ وصل سن التقاعد ولم يكن من حقه أن يتقاضى راتباً على تقاعده باعتباره لا يحمل الجنسية التركية، واشترطت عليه الجنسية مقابل الحصول على راتب أو معاش فطالت الإجراءات حتى وافاه الأجل وأحس الأتراك أنهم غمطوه حقه فاتصل المعهد العالي للدراسات التاريخية، وهو مؤسسة تابعة للدولة بزوجته وابنته وعرضت عليهم بيتاً للسكن ومبلغاً مالياً مقابل خزانته فتم الاتفاق وسلمت الخزانة مقابل السكن والمال.

ولقد كان في مختلف محطات حياته العلمية، وفي شتى مراحل البحث والرحلة على صلة وثيقة بصهره العلامة المرحوم عبد الله كنون الحسني، يخبره بالقلم عن مستجدات حياته، وجديد أبحاثه، ويطلعه على

---

5 - «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق صفحة 467.

ما وقف عليه من كنوز التراث وجديده، فيتبادلان الرأي في مختلف المواضيع، ويقفان عند فروع الثقافة العربية الإسلامية، وجديد أخبار الكتب والأبحاث، تشهد بهذا الرسُائل المحفوظة بمكتبة العلامة عبد الله كنون والتي تغطي مختلف مراحل حياة الرجل، وجل المحطات العلمية التي مر بها، بدءاً بأيام الطلب بجامع القرويين بفاس، ومروراً بمرحلة البحث بالقاهرة، وانتهاء بأيام العمل في الجامعة التركية، والانشغال بالتراث العربي كشفاً وبحثاً وتحقيقاً. والبحث في الرسائل وتتبع مواضيعها وقراءة ما بين سطورها من المواضيع الطريفة الممتعة ولاسيما إذا كانت بين عالمين جليلين وباحثين يتبادلان أخبار جديد البحث وطريف الأخبار.

وأدب المراسلات أدب ممتع معروف لدى الأمم عامة. وقد اشتمل أدبنا العربي القديم على نماذج بليغة من هذا الفن نقف على طرف منها في ثنايا الكتب وضمن أخبار العلماء والرواد، ونطالع مختارات ومنتقيات رسائل بعض الأعلام في مصنفات خاصة كرسائل الصابي إلى الشريف الرضي، وهذا الباب عند الغربيين من أشهر الأبواب، وهو مصدر مهم من مصادر الدراسة الأدبية والتاريخية عندهم.

ونقف في الرسائل المحفوظة بخزانة المرحوم عبد الله كنون الحسني والتي كان يبعث بها إليه صهره العلامة محمد بن تاويت الطنجي على مسائل مهمة تتعلق بالعلم والأدب، والسياسة والأخبار فقد بعث إليه من فاس أيام الدراسة والطلب هناك يسأله عن حاله ويستشف أخباره وأخبار العائلة في طنجة، ثم أضحى يحدثه عن الحالة العامة، ويصف له حركة الوطنيين وما تشهده القرويين من اضطرابات ومظاهرات، يقول :

الحمد لله وحده :

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله،

رمضان 1355 (1936)

أستاذي العزيز الفقيه الشريف الأديب سيدي عبد الله كنون :

أهدي إلى سيادتكم الشريفة وافر التسليمات وعاطر التحيات غبه السؤل عن أحوالكم الطيبة أدامها الرب غير متناهية.

ثم إن ابن عمك سيدي محمد قد أعطاني قائمة كتب أرسلتها له فأمرني أن أحضر الدلالة وإن وجدت شيئاً أخبره به، وأن أحضر كل جمعة، ولاكني ما صادفت شيئاً من الكتب المذكورة ... وسبب هذا المظاهرة التي تقام كل جمعة بالقرويين، كلما ضبطوا طائفة من الوطنيين ظهرت أخرى لم تكن تعلم قبل أنها من الوطنيين، فقد خرجت يوم الجمعة الفارطة من القرويين تنادي بحياة المغرب والوطنية وسقوط فرنسة والاستبداد، إلى باب السجن تطلب أن تدخل إلى السجن رغم الضرب الذي يلقونه. ولقد شاركهم في المرة الأولى عدد كبير من أولاد الأعيان ومن أولاد خليفة السلطان وأبوهم مع رجال الشرطة، وهم يضربونهم، فزجروهم وأمروهم أن يرجعوا إلى بلادهم فأبوا أن يرجعوا إلا أن ترجع الكتلة بطلبها، ومن العجب أن فيهم جماعة من التلامذة لا يتجاوز سنهم 12 سنة قد ضربوا ورهبوا وأمروا أن يرجعوا وسئلوا لماذا جئتم؟ جئنا لنسجن أو نقتل أو نأخذ الحرية والاستقلال.

وقد قبض بعض الطلبة ومن بينهم طالب كان يقرأ معنا عليك بجامع الكبير وكان يجلس بجانبي يلقب بالدويب. ويسلم عليكم الفقيه سيدي محمد بن لخضر كثير السلام كما يسلم عليكم الزرهوني ...).

والرسالة كما تلاحظون وثيقة تاريخية تصف وبدقة الحركة الوطنية والاضطرابات القائمة وسط الطلاب آنذاك، والمظاهرات التي كانت تنطلق من جامع القرويين بمشاركة كبار التلاميذ وصغارهم وأبناء الأعيان منهم والعامة. واهتمام الدكتور محمد بن تاويت الطنجي بهذا الجانب، وحرصه على الوصف الدقيق لحركة الطلاب ونضالهم، نابع من حسه الوطني، ومن إيمانه العميق بقضية وطنه، إذ نحس من خلال وصفه وحديثه إعجابه الكبير بهذه الحركة وتعاطفه العظيم معها، فهو - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ينحدر من أسرة عرفت بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، فتح عينيه فوجد أباه يجاهد المحتلين الإسبان، وشاهد منذ صباه ما يلحق منزلهم بقبيلة وادراس من مداهمة وإحراق ما بها من كتب ومخلفات، ووصلته أخبار جده وأعمامه الأربعة الذين ظلوا يجاهدون الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة، حتى

استشهد عمه أحمد ثم عمر في حين ظل الثالث والرابع يحاربان الإسبان والفرنسيين إلى أن اعتقلا بعد انتهاء حرب الريف. وحين انتقل إلى طنجة وهو شاب يافع توجه إلى الجامع الكبير لطلب العلم فجلس إلى العلامة عبد الله كنون أستاذ العلم والوطنية، فنهل من علمه وعل من وطنيته. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الرسالة تفيدنا أن المتحدث عنه كان من تلاميذ العلامة عبد الله كنون بالرغم من تقارب السن بينهما، وهذا الأمر لم يشر إليه الذين ترجموا للدكتور محمد بن تاويت الطنجي، وإنما نستقيه من قوله في آخر الرسالة «وقد قبض بعض الطلبة ومن بينهم طالب كان يدرس معنا عليك بجامع الكبير ..». وربما كان أستاذه يطلب منه أن يوافيه بأخبار الوطنيين هناك، وعملهم من أجل تحرير البلاد، علماً بأن المرحوم عبد الله كنون كان يقوم بالتنسيق بين أقطاب الحركة الوطنية ويترأس خلية لكتلة العمل الوطني بمدينة طنجة.

أما الجانب العلمي في هذه الرسائل فقد كان له حظ الأسد، نجده حاضراً في جلها ومسيطراً على سوادها، يتجلى في الحديث عن الكتب والمخطوطات، والإخبار بجديد الأبحاث والمجلات، وتبادل الرأي والمعلومات. فبمجرد حلول الدكتور محمد بن تاويت الطنجي بفاس ودخوله إلى عالم البحث والكشف عن التراث، أضحى يخبر العلامة عبد الله كنون بما يقف عليه بخزانة القرويين، ويبحث له عن النوادر التي يطلبها والمخطوطات التي يرغب فيها. يقول له في رسالة من فاس مؤرخة في 21 صفر 1355 :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

الشريف العلامة المحترم سيدي عبد الله كنون سلام عليكم ورحمة الله، أما بعد فكثيراً ما أردت أن أكتب إليكم قبل هذا لأخبركم بما كلفتموني به من المسائل ويتعذر الأمر من نواحي شتى والأمر لله.

ذهبت إلى الخزانة بقصد البحث عن البيتين فوجدتها مقفلة تبعاً للقرويين حيث أن الإبان إبان نزهة الطلبة، فبعد ذلك أخرت إلى أن تنقضي وهي الآن على وشك الانصرام.

ثم إني بحثت عن الكتب الموصى بها فلم أجد منها إلا «المعرب»

لحمد بن زاكور عند بعض الطلبة فاشتريته وها هو واصل على طريق البريد الإنجليزي أما «الجذوة» فأوصيت بعض من يبيع الكتب الغربية فوعدني أنه سيأتي بها وعلى كل حال فأنا على بال منها أما الأخرى فإني أراقب السمسرة كل أسبوع.

هذا وأعلمكم أني وقفت على كتاب خطي لابن الخطيب سماه: «الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالمائة الثامنة»، فإن كان لكم غرض به فأعلموني لنحصل على نسخة منه[6]، وأما نسخ «الشمقمقية» فقد دفعت لابن عمكم سيدي محمد 46 نسخة وتركت لدي أربعة بقصد أن أرسلها لوجدة ... وأما زاوية الوزانيين فإنها بيد سيدي عبد الجليل بن سيدي التهامي، وليس لها عند أهلها أهمية كبيرة، فإن كتبت إلى من تعرف منهم تيسر ما كنا أعلمناك به من قبل.)

ونظير هذا الكلام وارد في جل الرسائل المخطوطة، فسوادها حديث عن الكتب والمكتبات، وأخبار التراث والمخطوطات، وجديد المطبوعات والدوريات، بل إن الكثير من هذه المراسلات ينحصر الحديث فيها على هذا دون غيره، فما عدا التحية والسلام فهو حوار وإخبار وإعلام، ففي رسالة من القاهرة مؤرخة في 29 أكتوبر 1952 :

الأخ الكريم الشريف العلامة سيدي عبد الله كنون، تحية واحتراماً وبعد :

فأرجو أن تعذرني في هذا التأخير، فليس لي فيه يد، وإنما مرده إلى أشياء خارجة عن طاقتي.

وهذه النسخة مصورة عن مكتبة أحمد تيمور. وهناك أخرى في الأستانة خارجة عن طاقتي.

ونسخة الأستانة كتبت سنة 619 فهي قيمة وأصيلة وتقع في 23 صفحة.

وهنا في دار الكتب نسخة من «شرح المقدمة الجزولية» لأبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بن جعفر الأندلسي المرسي اللورقي (575-661) في مجلدين بخط ابن إياز النحوي المعروف نقلاً عن نسخة

---

6 - «معلمة المغرب» : صفحة 2551-2552.

بخط المؤلف. وفي جامعة الدول العربية نسخة أخرى منه أظنها غير هذه كتبت في القرن السابع وتقع في 366 ورقة. وفي مكتبة جامع القرويين تحت رقم 1198 شرح على الجزولية لابن الحاجب، وشرح آخر عليها للشلوبيين تحت رقم 1192. ويذكر العلامة كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» أن هناك أيضاً تحت رقم 1186-1181 شرحاً آخر اسمه المشكاة والنبراس للعطار.

مع أن هذه المعلومات التي يذكرها بروكلمان، نقلاً عن الفهرس الذي وضعه لجامع القرويين ألفرد بِلْ لا يوثق بها كثيراً لأن الفهرس لم يكن من الدقة بحيث يعتمد عليه. فيمكنكم أن تتأكدوا من صحة هذا أو عدمه ... وفي مكتبة الإسكوريال شرح الشلوبيين المتوفى سنة 645 - (الموجود منه يبتدئ بلا النافية وينتهي بحروف التصديق، وقد كتب في القرن السابع فيما أظن وعدد أوراقه 142) - تحت رقم 190 من الفهرس الجديد في الجزء الثامن

أرجو إبلاغ تحياتي إلى الأخت، ومني إليكم وإلى الإخوان أطيب التحيات وأصدق المتمنيات. القاهرة 29\10\1952م

ولم يقتصر الحديث في هذه المراسلات على الإخبار بجديد الكتب ونادر المخطوطات فحسب، بل كان يتوسع أحياناً ليصبح حواراً يدور حول الأبحاث الشخصية والأعمال المنجزة أو التي هي في طريق الإنجاز، فحين كان الدكتور محمد بن تاويت الطنجي يحقق مقدمة ابن خلدون ويشتغل بتراث هذا المؤرخ العربي، كان على اتصال دائم بالعلامة عبد الله كنون يخبره بالجديد في عمله ويستفتيه في أمور منه أو يطلب منه ما يتوفر عليه من وثائق ومخطوطات. حيث نجد في رسالة له مؤرخة في 8 شتنبر 1947 تقريراً مفصلاً عن العمل الذي يقوم به، وحديثاً عن الخطوات التي قطعها في تحقيق «المقدمة»، وإشارات إلى ما ينوي القيام به، مع ذكر النسخ التي اطلع عليها وما استفاد منها. جاء في مقطع من هذه الرسالة :

... هذا وإني أقدر يدكم الكريمة التي أسديتموها إلي بإرسال نسخة المقدمة، فلقد كان اطلاعي عليها ضرورياً. لأني أريد أن أكتب بحثاً في التطورات التي مرت بها المقدمة منذ كتبت لأول مرة في تونس

إلى وفاة صاحبها؛ فلقد كتبت كما تعلمون في تونس ووزعت منها نسخ كانت الأولى من المقدمة، ثم جاء ابن خلدون إلى مصر وجادل عن رأيه فيها، ورأى كتباً لم يتح له أن يراها في تونس والمغرب، واستفاد منها في تدعيم رأيه أحياناً، وفي إيضاحه مرات أخرى، ومن هنا جاءت زيادات متفاوتة المقدار في نسخ المقدمة حسب قدم أو حدوث صدورها عن المؤلف. ومن هنا أيضاً وجب علي أن أراقب هذا الاختلاف في أكبر عدد من نسخها المخطوطة لتحديد زمن هذه الزيادات، ولإدراك مناسباتها، ولتحديد زمن صدور هذه النسخة عنه، حيث إن كل مجموعة منها تمثل حلقة من حلقات هذه المقدمة، وتاريخاً جديداً من تواريخ حياتها.

ولقد وصلت حتى الآن المخطوطات التي استفدت منها نحو 31 نسخة، غير أني لم أجد من بينها ما يمثل النسخة الأولى التي ألفت في تونس، والتي أهداها المؤلف إلى أحد الملوك الحفصيين قبل انتقاله إلى مصر. وهو جانب لم أستطع أن أزيح عنه الستار لأنه محتاج إلى العثور على نسخة من هذا النوع. وكل الذي وصلت إليه في تاريخ هذا الجانب هو : تاريخ حياة المقدمة بعد أن وصل ابن خلدون إلى مصر ويتمثل ذلك في نسخة أهداها إلى الظاهر برقوق، وتوجد نفسها وعليها خطه في بعض مكاتب إستنبول، وفي نسخة أخرى أهداها إلى أبي فارس عبد العزيز المريني، وفي فروع هذين الأصلين.

وقد كانت النسخة التي تكرمتم بإرسالها من فروع النسخة التي أهداها لأبي فارس المريني فأفادتني من هذه الناحية. وإن كانت غير كاملة، فالذي يحويه هذا المجلد إنما هو نحو نصف «المقدمة»، ولعلني أحظى منكم بشيء عن النسخة الحفصية.

أما النسخ التي اعتمدت عليها في نشر النص فهي 17 نسخة من بينها نسخة المؤلف التي كان يملكها، والتي كانت تتعرض لكل ما يطرأ على فكر ابن خلدون من تفكير جديد، بهامشها بخطه إضافات وتعديلات في منتهى الخطورة. وهي موجودة في مكتبة من مكاتب إستنبول ومنها نسخة كتبها أحد تلاميذ ابن خلدون، وقرأها وصححها ابن خلدون برجاء من تلميذه، أما بقية النسخ الأولى فهي فروع من نسخة المؤلف.

وإني الآن أحاول أن أنهي هذا العمل الطويل لأعود، حيث أن المدة طالت، والوالدين قد قلقا، وأصبحا يظنان أني أريد البقاء في مصر وما خطر لي هذا على بال. فأرجو أن تعيدوا إليهما نوعاً من الطمأنينة ولكم شكري.

وهذه صورة مصغرة لمختصر كتاب «صفوة الأدب ونخبة العرب لأبي العباس الجراوي التادلي» والذي يقال عنه (الحماسة المغربية) أبواب الكتاب : المدح - الفخر - المراثي - التشبيه - الوصف - الأمثال والحكم - الملح - ذم النقائض - الزهد - الحكم والمواعظ.

يبتدئ بالمديح النبوي، ويرده كاملاً كما هو في «صفوة الأدب» غير مختصر يتبرك بالجناب النبوي الكريم، ويرد فيه مقطوعات مرتبة على سبيل الأقدمية، ثم مديح غير النبي (ص) ويكثر في هذا القسم حيث يصل إلى شعر المتنبي والبحتري وغيرهما من مشاهير الشعراء وفي آخر هذا القسم يورد للمغاربة بمثل تميم بن المعز وابن عمار، وابن عباد ولأبي العرب الصقلي وبه ينتهي باب الفخر والمديح. ويأتي بعد ذلك باب الرثاء على نفس الطريقة، ويورد فيها مرثية لأبي العباس (الأعمى التطيلي) وبها يختم باب المراثي، وبعده باب النسيب ويورد فيه لأهل الأندلس : لابن عبد ربه، ولأبي عامر بن شهيد، ولسليمان بن الحكم بن المستعين الأموي، ولابن زيدون لابن عمار ولابن عباد ولأبي بكر بن عيسى الداني وابن وهبون، وابن حمديس الصقلي، وابن خفاجة وأبي عامر بن الحمارة. وفي باب الوصف كذلك يتبع الشعر القديم بما قاله ابن دراج القسطلي، والرمادي، وابن خفاجة، وابن اللبانة، وابن حمديس، وعبد الكريم النهشلي، وأبو بكر بن العطار، وابن وضاح المرسي، كل هؤلاء في الأندلس وإفريقيا. وفي باب يخصه بوصف السلاح أورد لابن هانئ وليحيى بن هذيل، ولابن حمديس، والأعمى التطيلي، وابن خفاجة وفي وصف الرماح أورد لابن شرف وللأعمى التطيلي وفي الأمثال والحكم لابن هانئ وابن عباد، وابن شرف وفي الزهد لابن حماد التاهرتي، وابن عبد ربه وابن صارة، وابن السيد.

ويقع الكتاب في 111 ورقة وسطوره 25، وخطه مغربي واضح، وبه تصحيفات لا تضر، وكتب سنة 618 هـ.

هذه هدية أرجو أن تكون واضحة عنه، على أني سأبعث إليكم بالكتاب نفسه في البريد، حيث أني لا أحتاج إليه الآن، ولعلكم تستفيدون منه شيئاً ...).

ومن الصدف الجميلة أن تشرف جمعية مكتبة عبد الله كنون على هذين اليومين الدراسيين، وهي الجمعية التي عهد إليها العلامة عبد الله كنون باستيلام ثروته العلمية الزاخرة، من كتب ومخطوطات ووثائق، وحملها مسئولية تسيير وتدبير تلك المؤسسة العلمية التي أسسها رحمه الله رغبة في نشر المعرفة وتنوير الفكر، وأوقفها على مدينة طنجة التي كان أبناؤها في أمس الحاجة إلى مكتبة يرجع إليها الباحثون، وينهل من منابعها الطلبة والمثقفون. ووجود مكتبة بهذه المدينة تلم أبناءها وتنور فكر أجيالها، كان من آمال الدكتور محمد بن تاويت الطنجي، ومن الأمور التي فاتح فيها صديقه صاحب هذه الخزانة التي ننعم اليوم بوجودها، ففي العقد الخامس من هذا القرن كتب بن تاويت من القاهرة إلى الأستاذ عبد الله كنون، وأبدى تحصره على خلو هذه المدينة من مكتبة عربية تفتح أفق القراءة أمام أبنائها، وتساعد على تنوير الفكر ونشر المعرفة، على غرار ما يوجد من مكتبات أجنبية يؤمها أبناء الجاليات المقيمة في هذا الثغر، يستفيدون منها علمياً بالقراءة وأخلاقياً بالابتعاد عن الشارع ومصائبه، يقول :

«عند مراجعاتي المتكررة إلى كتاب «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان لاحظت أنه يشير إلى مكتبة الجامع الكبير بطنجة، وفهمت من إشاراته أن لها فهرساً، وهذا ما كنت جاهلاً به - وهنا يأتي : رب البيت أجهل بما فيه.

وعلى ذكر المكتبة أحب أن أقترح شيئاً : ذلك أن للإسبان في طنجة مكتبة عامة كما لغيرهم، وفي هذه المكاتب يجتمع الشبان يقرأون ويتثقفون، على حين أن شبابنا يذرع الأزقة والشوارع جاهلاً خاملاً، وليس مستطاعاً أن يشتري كل فرد من شبابنا مكتبة شخصية تكفيه للقراءة، والقراءة كما تعلمون عادة تتعلم، فلو وجدت لنا مكتبة علمية عامة يرتادها القراء من الشبان وغيرهم كان ذلك فتحاً جديداً هناك.

ولست أدري هل هناك استعداد من الأهالي والحكومة والأوقاف للمساهمة في هذه الفكرة أو إننا نضرب في الحديد البارد، آمل خيراً. بلغوا تحياتي ...».

القاهرة : 24\12\1947م

المخلص محمد بن تاويت الطنجي

وبصفة عامة فإن الرسائل المتبادلة بين الدكتور محمد بن تاويت الطنجي والعلامة عبد الله كنون الحسني يطغى عليها الحوار العلمي وتبادل الرأي بجديد الأبحاث والمطبوعات، ونادر الوثائق والمخطوطات مع الإشارة أحيانا إلى الأمور العامة والقضايا الوطنية، ويمكن أن نستخلص من هذه المراسلات أموراً منها :

1 - أن الدكتور محمد بن تاويت الطنجي كان يحرص في جل رسائله - وفي مطالعها خاصة - على التنميق والتجويد، واختيار الرائق من الأساليب جرياً على عادات القدماء في الكتابة وأسلوبهم في المراسلة، فمن ذلك قوله :

«أهدي إلى سيادتكم الشريفة وافر التسليمات وعاطر التحيات غبه السؤل عن أحوالكم الطيبة أدامها الرب غير متناهية». ومن ذلك ما ورد في تعزيته عند وفاة العلامة عبد الصمد كنون : (الحمد لله وحده : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

فاس رابع ذي القعدة عام 1352

الأستاذ الجليل الشريف الأصيل سيدي عبد الله كنون سلاماً واحتراماً بعده :

فقد عمنا الكدر بوفاة والدكم المقدس، نعم علو قدركم يمنعنا من إرشادكم وتذكيركم، والله بل أنتم عالمون أن الصبر أفضل والرضى بالقضاء متحتم.

ألهمكم الله الصبر الجميل والثواب الجزيل، وأطال بقاءكم في حفظ وأمان وأسكن الراحل فسيح الجنان والسلام على الأخوين.)

2 - أن الدكتور محمد بن تاويت الطنجي كان من رجال العلم

المتسمين بالتواضع، يطلب العلم ويتفانى في خدمته، ويلتمس الدقة والنجاح فيه، لكنه لا يدعي التفوق ولا يحب أن يوصف إلا بطالب العلم فحين نوه به العلامة عبد الله كنون وتحدث عن تفوقه في البحث وتقدمه فيه، بعث إليه قائلاً :

«لقد قلتم عن تفوقي في البحث، وعن استعدادكم لمد اليد وإسداء العون، وما شككت في هذا الشعور الكريم الطيب والدر من معدنه فأشكر لكم هذه العاطفة النبيلة، أما ما سميتموه تفوقاً فأفضل أن نسميه عدم خيبة، هذا كل ما في الأمر. أما التفوق فما زعمت - وما أظن أني سأزعم - أني حصلت عليه ... وأخيراً بلغوا سلامي ...».

رحم الله الفقيدين الجليلين اللذين صانا العلم فصانهما، وعظماه في النفوس فعظمهما وخلد في الآنام ذكرهما.